وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية الاداب
القسم: المعلومات والمكتبات

المادة : المخطوطات العربية
المرحلة: الرابعة
المحاضرة رقم (3)

عنوان المحاضرة

حركة التأليف والترجمة

إعداد: م.لبنى قاسم محمد رؤوف الهاشمي

حركة التأليف:

مع ان العرب لم يكونوا قبل الإسلام ذوي ثقافة واسعة ولم تكن لهم علوم مسجلة ، إذ لم يتركوا سوى بعض النقوش القليلة التي وصفت دورهم الحضاري وهي متوفرة في مناطق من الجزيرة العربية حيث توجد الأحجار والصخور.

اذاً فقد كان للعرب نصيب من التحضر وبينهم من يحسن القراءة والكتابة، وإن النبي (ص) اختار منهم من يسجل الوحي وان بعضاً منهم كان يدون اقوال الرسول (ص) وشروحه لبعض السور القرآنية طواعيةً. ولعل القران الكريم - معجزة العرب الكبرى - هو اول نص دوّن على شكل كتاب ، إذ كتب خلال نزوله في مدة ثلاثة وعشرين سنة على سعف النخيل وعلى الرقاع والعظام وغيرها.

وسجل ايضاً أيام الخليفة الراشدي **أبو بكر الصديق (رض)** حيث كثر القتل بالصحابة حفّاظ القران الكريم في واقعة اليمامة في حروب الردة واشرف على تدوينه زيد بن ثابت فأجتمعت الصور في الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الحافظين له أيام الخليفة **عثمان بن عفان** تدويناً كاملاً واصبح هو المصحف المعتمد في الأقاليم. (ومن هنا فأن القران الكريم هو اول اثر في فجر الإسلام يحظى بالتدوين).

وكان القرن الهجري الأول عهد تمهيد وتمكين ، حيث شغلت الدولة بالفتوح واستتباب الامن ، واصبح القران وتفسيره والحديث النبوي وحفظه هي العلوم الأولى للحياة العلمية. وكان التأليف في هذا القرن يدور في فلك القران وما يتصل بالدين الجديد وما يتعلق في فهمه كاللغة والشعر. غير ان اغلب المعارف في هذ القرن الهجري الأول يتناقلها الناس شفاهة سواء في الحديث النبوي او التفسير والسيرة والمغازي والشعر والقصص والامثال. وازدهرت حركة التدوين في نهاية القرن الهجري الأول وقيام الدولة العباسية وانتهاء عهد الفتوح ، ففي هذا العصر دوّن الحديث النبوي الشريف فكان فاتحة عهد زاهر في مضمار التأليف عند العرب ، كذلك دوّنت معارف أخرى لها صلة بالإسلام منها السيرة النبوية ومغازي الرسول.

ومرت حركة التدوين في مرحلتين:

1- التدوين العام او الجمع والتقصي.
2- تصنيف ما جمع واختيار الاجود ثم الدراسة والمقارنة والابتكار الذي أدى الى علوم الفقه والتشريع نتيجة لتدوين الحديث، وتأليف المعاجم نتيجة لتدوين اللغة ، والتأليف في النقد الادبي نتيجة لجمع المنظوم والمنثور.

ورغم ان الشواهد كثيرة على ان التدوين بدأ منتصف القرن الهجري الأول ومنها كتب ابن النديم التي تذكر احداث في هذا الوقت. غير ان التأليف في هذه المرحلة لم يكن واسعاً والكتب المؤلفة لا تعدو فصلاً او فصلين. وقد ازدهرت حركة التأليف في القرون التالية وساعد على ازدهارها:

1- صناعة الورق ابتداءاً بعصر الرشيد.
2- ظهور الورّاقين.
3- شيوع استعمال الورق.
4- تكاثر النسّاخين.
5- الميل لاقتناء الكتب.

وأصبحت الوراقة مهنة يتعاطاها الكثير من العلماء أمثال الجاحظ ، ابن النديم ، وياقوت المستعصمي. وقد عرّف ابن خلدون الوراقة بانها عملية الاستنساخ. والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية واعمال الدواوين. وقيل حين خرج اسحق الموصلي مع الرشيد حمل معه ما خف من كتب تبلغ ثمانية عشر صندوقاً.وكان الصاحب بن عباد اذا ترحل اصطحب معه أربعين بعيراً او اكثر محملاً كتباً.

اعتبرت الفترة من (132-656 هـ) هي العصر الحقيقي للتدوين والتأليف فكانت زاهية وزاهرة ، اما بعد ذلك سقطت بغداد على يد المغول واتسم ذلك العصر والعصور التي تلته بالانحطاط السياسي والضعف العلمي والحضاري لان الحكام في الغالب كانوا من غير العرب ، من المغول والمماليك والأتراك والفرس لان في الفترة (656-923 هـ) جابه الشرق حملة أخرى من الغزو بزعامة تيمورلنك وخروج العرب من الاندلس. ثم بدأ عهد الضعف والركود منذ دخول العثمانيين الى بلاد العرب سنة 923 هـ حتى مجيء نابليون الى مصر سنة (1213 هـ -1798م).

فظهر في هذه الفترة الشعراء منهم (البوصيري وابن نباته وصفي الدين الحلي) وكانت حركة الازدهار في مصر والشام اكثر من غيرها. وظهر ابرز المصنفين في الادب (القلقشندي والنويري والابشيهي وابن خلكان) و(ابن خلدون وابن النديم وأبو الفداء والمقريزي والقزويني وابن بطوطة) في التاريخ والجغرافية. وفي النحو واللغة والمعاجم (ابن مالك وابن هشام وابن منظور والفيروز آبادي والسيوطي).

حركة الترجمة:

كانت بداية الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية على يد الأمير الاموي (خالد بن يزيد) لانه اول من امر بترجمة كتب الحكمة الى العربية ، حيث كان محباً لها وله مؤلفات فيها ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست وحاجي خليفة في (كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون).

تم ترجمت كتب أيام خلافة (**مروان بن الحكم**)(64-65 هـ) وثم خلافة (**عبدالملك بن مروان**)(65-86 هـ) فكانت دواوين مصر بالقبطية ودواوين الشام بالرومية ودواوين العراق بالفارسية فأصبحت كلها تكتب بالعربية.

وتعتبر خطوة الترجمة هذه هي الدعامة الأولى التي أقيمت عليها القومية العربية واحد عوامل النهوض باللغة العربية لانها أدخلت إصلاحات جديدة لم تكن معروفة.

ثم عصر (**ابي جعفر المنصور**) (135-158 هـ) فكان له مقدرة في الفقه والحديث واللغة وميالاً الى الحكمة وكتب الطب والفلك والهندسة فطلب من ملك الروم كتب الطبيعيات وقد ترجم له (ابن المقفع) (كليلة ودمنة) وكتب أخرى عن الفارسية وكتب ارسطو.

وعندما دخل العرب بلاد الروم حافظوا على كتبها. واتسع التأليف والترجمة أيام الخليفة (هارون الرشيد) الذي اقر بالمحافظة على كتب (عمورية وانقرة) بعد تحريرها. ثم ازدهار الفكر أيام (**المأمون**) اذ ترجمت كتب كثيرة في عصره منها الحكمة والفلسفة والمنطق.

واتم الخليفة السابع (**عبدالله المأمون**) ما بدأ به المنصور وبفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فاقام علاقات جيدة مع ملك الروم واهداهم هدايا كثيرة وخطيرة ، فبعثوا له كتب افلاطون - وارسطو طاليس- وابقراط – وجالينوس – واقليدس ، وقام امهر المترجمين بترجمتها وحرّض الناس على قراءتها ورغّبهم في نقلها فقامت دولة الحكمة في عصره فكانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب. وأصبحت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية.

وقد شغف المأمون بالكتب فجعل احد شروط معاهدة الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث قيصر الروم ان يتنازل القيصر عن احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان من كتبها الثمينة كتاب (المجسطي) وهو اسمه بالعربية بعد ان امر المأمون بترجمته وهو (لبطليموس) وموضوعه في الفلك. وهكذا أصبحت بغداد قبلة العالم الإسلامي في العلوم واحتوت على كتب مترجمة الى العربية في الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات والمنطق والفلك والفلاحة والصناعات والتاريخ والاداب وغيرها ، وكان المترجمون من ملل مختلفة منهم المسلمون والنصارى والصابئة والبراهمة والانباط والمجوس واليهود وغيرهم.

واخذ العرب يطبقون العلم عملياً ، فعملوا الات الرصد وانشأوا المراصد ووضعوا الخرائط.

ذكر **ابن النديم** ان (احمد النهاوندي) صور الدنيا كلها في كتاب **للرشيد** ببحورها وجبالها واوديتها واقاليمها وبلدانها وسائر اماكنها.

قال (ول ديورانت) في وصف روح العصر انه لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في أي بلد اخر من بلدان العالم اللهم إلا في الصين ما بلغه في بلاد الإسلام في هذه القرون حين وصل الى ذروة حياته الثقافية وان عدد العلماء في الاف المساجد المنتشرة في البلدان الإسلامية من قرطبة الى سمرقند لم يكن يقل عن عدد ما فيها من الاعمدة.